قلستاون

الروسيه اليابانية

(تعريب)

سيد كامل

(احد طلبة الحقوق الخديويه)

حقوق الطبع محفوظه

طبع بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٩٠٤

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مقالات عن الحرب الروسية اليابانيـة القائمة الآن في الشرق الاقصى على قدم وساق . وهى نفثة من نفثات الفيلسوف الروسي ليون تلستوئى الشهير جمعت في كتاب واحد

وقد قمت بتعريبه حتى يطلع عليه الناطقون بالضاد ويقفوا على أفكار رجل هو عالم الفلسفة في هذا العصر غير راغب في ذلك وحرمة الادب الا خدمته . فمن عناية الله ورعايته أستمد قوة أستعين بها على انجاز هذا العمل الذى أرجو أن يتقبله أهل الآداب بما يستحق من القبول والسلام

تحريراً في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٤

(سيد كامل)

(١)

قامت الحرب فتجددت معها الآلام على غير جدوى وتحول معها ابن آدم من الانسانية الى الوحشية حيث يرى الآن فى ساحات القتال وميادين النزال المئات بل الالوف من الرجال على فريقين بين بلدانهما من البعد ما بين المشرق والمغرب منه . بوذيون لم تحرم فقط شريعتهم قتل الانسان بل حرمت أيضا قتل الحيوان . ومسيحيون أخذوا على عاتقهم بث روح الاخاء والسلام والولاء وهما يسعيان للتقاتل والتهالك على الارض وفوق الماء بأشد ما يمكن من القسوة والعنف والشدة

أجل ان اليابانى الساذج الفقير المسوق من غيطه الى ميدان القتال والغرور متحكم على قلبه لا يؤدى هذا العمل الفظيع الا بعد أن أوحى اليه ان البوذية لا تخص بالرأفة كل حى وانها تحتم القساوة على الكفار كما لا يؤديه الفلاح الروسى الجاهل الا بعد ماتشبع اعتقاده بأن المسيحية تحضه الى ارتكاب أكبر جناية . الى قتل اخوانه في الانسانية . وان في هذا العمل منتهى الفخر وغاية الفوز المبين

فعجبا لأناس متنورين كما يقال عنهم وعجبا لما يفعلون . اذ كيف يستطيعون تمجيد الحرب وتهيئة معداتها وتحريض الاغيار على الانتظام فى سلكها وارسال اخوانهم البؤساء المغرورين الى ساحاتها وهم هم من أهوال الحرب مبعدون ؟ اننا اذا ضربنا صفحا عن الشريعة المسيحية التى يدعون انهم في جانبها مخلصون فليس في وسعهم مع ذلك جهل ما كتب

وقيل عن فظائع الحرب وأضرارها ورزاياها لان علمهم بذلك من أسباب عدادهم ضمن الرجال المتنورين فضلا عن ان السواد الاعظم منهم كتب أو خطب فى هذا الموضوع . فهل أرانى بعد ذلك في حاجة الى تذكير العالم بما قيل ـ مديحا فى مؤتمر السلم الذى انعقد في لاهاى ـ على صفحات الجرائد وفي بطون الاسفار وتحويل الانظار الى ما سطر فيها عن امكان حل المنازعات الدولية بالرجوع الي محاكم تحكيمية ؟ . . .

ان الرجال المتنورين يعرفون حق المعرفة ان قيامة الامم بعضها على بعض لا بد من أن تقودها الى تخليد الحروب أو الى افلاس عام أو اليهما معا . ويبعد عليهم عدم وقوفهم على ما تتكبده الشعوب من فقد الاموال المنصرفة في سبيل التجهيزات الحربية والتى لا تقدر الا بمليار الفرنكات فضلا عن هلاك ملايين الرجال وخيرة الابطال الذين ينزعون من بين أشغالهم في أثمن دور من أدوار حياتهم . وها قد طوت المنون في القرن التاسع عشر أربعة عشر مليونا من النفوس بعد أن شربت من البؤس أمر الكؤوس .

لا يجهل العارفون المتنورون أن الحروب محدودة بأسباب لا توازى فقط قيمة فرد واحد من الذين يهلكون في سبيلها بل لا تكافيء أقل قيمة مما تستدعيه هذه الحروب من النفقات الباهظة الفاحشة فقد بلغت مثلا نفقات الحرب التى أشعلت لتحرير الزنوج عشرة أمثال ثمنهم جميعهم

كذلك يعرف العالم أجمع ان الحرب تبث فى نفوس الرجال أحط

الطباع البهيمة وأدنى الاميال الشهوانيـة التى تحول هـذه النفوس الى الوحشية وليس لما حفظ من الاقوال الشائعة لمولتك وأضرابه تأثير على ما ذكرنا لان هذه الاقوال مبنية على المبدأ الصوفى القائل بأن لنا من كل فاجعة ركنا مفيـدا أو ان الحروب قديمة الوجود وبناء عليه وجب بقاؤها أبدا وهذا يرجع الى الرغبـة فى تزكية أمور منحطة حرصا على فائدة منها أو لانه تعود عليها زمنا طويلا

كل هـذا معروف لدى أهل العـلم الا انه اذا أشعلت الحرب نارا واحتدمت أوارا أصبحت هذه المعلومات في عالم النسيان أو الخيـالات وانقلب الذين كانوا بالامس يبرهنون على فظاعتها وعارها وشناعتها يفكرون في اختراع محاصـد جديدة لرقاب بنى الانسان وآلات للتمكن من تخريب ما شاد وأقام من العمل الانسانى ويسخرون أنفسهم لايقاع النفرة بين الرجال الهادئين الذين يطعمونهم ويلبسونهم مما يشتغلون وذلك باكراههم على ارتـكاب عمل كله اثم وعدوان ينكره الوجدان .

(٢)

ان امبراطور الروسيا الذي كان بعينه يدعو جميع الشعوب الى الاتحاد والوئام قد أعلن أمته بأنه رغما عن بذل أقصى جهده فى المحافظة على السلم الذى يميل اليه قلبه ميلا عظيما أمر بناء على ما أبداه اليابان من الهجمات في إبان الحرب بمقابلة الفعل بالفعل أعنى بقتل اليابانيين . والذى تعرفه عن هذا الجهد هو انه بذل فى سبيل الاستحواذ على أراض أجنبية وفى تحصينها بقوي كثيرة لحمايتها . ثم ان الامبراطور عند استدعائه الشعب الى القتل والفتك دعا الله أن يقدس أبشع وأفظع جناية يمكن ارتكابها . كذلك فعل امبراطور اليابان وعبر عن الروس بما عبر به امبراطور الروسيا عن اليابانيين

ثم قام رجال التشريع وأجهدوا أنفسهم فى البرهنة على ان الدعوة العامة الى السلم لا تناقض مطلقا اعلان حرب بشأن ملكية أراض وأثبت السياسيون بنشرات مكتوبة بلغة فرنسية واضحة فصيحة وباعتناء زائد وتفصيل كاف ان الحكومة الروسية لم تلجأ الى الحل الوحيد المعقول ألا وهو القتل الا بعد مخابرات عديدة ترمى الى تثبيت دعائم العلائق السلمية وما هى في الواقع الا مخابرات كتبت لخداع الدول الاخرى . وقام العلماء والمؤرخون والفلاسفة بقياس الحاضر بالغابر فخاضوا عميق المباحث وداروا حول نواميس الحركة الاهلية والعلائق بين العنصر الاصفر والعنصر الابيض والبوذية والمسيحية واستنتجوا مما بحثوا تبرير الحرب

وزكوا بما كتبوا قتل المسيحيين لافزام صفر الوجوه . كذلك زكى أهل العلم والفلسفة من اليابان قتل البيض

أما رجال الصحافة الروسية فمسرورون بالحاجة التى ينشدونها وليس لديهم أكثر من تكالبهم على الكذب فى أمور بديهية وهم يؤيدون بجميع أشكال البيان ان الحق والقوة وسلامة المبدأ هى فقط فى جانب الروسيين أما الخطأ والضعف وسخافة الرأى ففي جانب اليابانيين وبئس كل منعطف عليهم مثل الامريكان والانكليز .

ولا شك ان اليابانيين وأنصارهم يفعلون فيما يخص الروسيين مثل مايصنع هؤلاء الاخيرون بهم

أما الروسيون المتعلمون كبيرهم وصغيرهم فيظهرون بغضا واحتقارا لليابانيين والانكليز والامريكيين وكانوا بالامس لايظهرون لهم الا بمظاهر الانعطاف والتواد. وفي الوقت عينه تراهم يبدون للقيصر أحط العواطف وأخس مظاهر العبودية وهو على الاقل لا يهمهم ويؤكدون له اخلاصهم الاكيد وحبهم العظيم ورغبتهم في تضحية نفوسهم من أجله . وهو هو الشاب المسكين القابض على زمام مائة وثلاثين مليونا من النفوس يصدق كل هذه المظاهر التى لايسمه ازاءها الا الشكر وارسال الجيش الذى يعتبره ملكا له الى حيث يجزر للدفاع عن أراض يعدها من متاعه وليس له كبير حق فيها .

والاغنياء يتبرعون من واسع ثروتهم التى موّلوا بها أنفسهم للتنافس في

المساعدة على الفتك والقتل والبلاء حتى الفقراء من الروسيين يقلدون الاغنياء منهم فتراهم يقدمون ماملكت يداهم للحكومة فضلا عن مليارى روبل يدفعونها ضريبة في كل عام

وتحرض دوائر السلطة الروسية فئة لاخلاق لها ولاعمل على السير فى الطرق العمومية حاملة رسم القيصر هاتفة صائحة تحت غطاء الوطنية بما لايليق ولا يجب فعله أما القسوس الذين يظنون أنفسهم مسيحيين فيدعون ربهم أينما حلوا في سراى الامبراطور أو أحقر كوخ ويطلبون منه العضد والعون على عمل شيطانى هو قتل الانسان مع أن الله جل وعلا لا يأمر بالعدوان وعلى هذا يسير الالوف من الرجال بلباس واحد ومع كل منهم عدد ذبح الانسان وقد أدهشت عقولهم أقوال التغرير ومظاهر الخداع تاركين والصدور منقبضة وان ابتسمت الثغور أهلهم ونساءهم وأولادهم الى حيث يقتلون بقتل رجال غيرهم لايعرفونهم من قبل ولم يتعرضوا لهم بسوء

ثم يتبعهم الاطباء وتلحق بهم الراهبات الممرضات اللاتى من عجيب أمرهن عدم استطاعتهن تمريض المرضي أيام السلم وقيامهن بهذه الخدمة للذين يشتغلون بقتل أمثالهم فى الانسانية . أما الذين يبقون بديارهم فينتظرون أخبار المذابح الفظيعة فان كان عدد اليابانيين الذين قتلوا فى واقعة من المواقع عظيما هللوا وشكروا مايسمونه الها

فهذه الاحساسات وتلك المظاهرات تعتبر كدليل على أشرف

وأعلى ادراك انسانى بحيث ان الذين يرفضون التظاهر بها والسير على منهاجها ويحاولون اسماع اخوانهم كلمات الحق وصوت الصدق فهم خونة وفي خطر من اهانة الغير لهم أو من تمزيقهم اشلاء بفئة من الضوارى التى لا تزكى قساوتهم وغباوتهم بغير العنف والوحشية

obeikandl.com

(٣)

اننا كلما تطلعنا الى ما حولنا من الاضاليل لا نكاد نصدق وجود فولتير ومنتانى وبسكال وسويفت وكنت وغيرهم من النابغين المفكرين الذين أبانوا للعالم أضرار الحروب ومثالبها وصوروا له فظائعها وصفاتها القاسية غير الادبية اللصيقة بالوحشية البعيدة عن الاطوار البشرية بل لا نكاد نصدق على الخصوص وجود المسيح وتعليمه مبادىء الاخوية وحب الناس بعضهم لبعض

فما تذكرنا ما كتبه هؤلاء الفلاسفة المفكرون وتأملنا فيما هو واقع الآن بين الناس الا تولانا الجزع واستولى علينا الفزع لامن أهوال الحروب ونكبات صروفها انما مما هو أشد هولا وأعظم نكبة ألا وهو من ضعف العقول البشرية التى هى ميزة الانسان العليا . فقد تجلى العقل كتابع مشؤوم قيد الهمة وضايق العزيمة كما ضايق الزمام الفرس وقد وقع من رأسها وعلق بين رجليها فعاقها عن سيرها

أجل . اذا فهمنا أن مسيحىّ القرون الوسطى كان يصدق من غير تفكير اشارات الكنيسة فضلا عن أوامرها وان الوثنى رومانيا كان أو يونانيا كان يستطيع مقاتلته فكيف نفهم أن رجلا مسيحيا من أيامنا هذه أو حراً في اعتقاده تداخل نفسه رغما عنه أسمى المبادىء المسيحية من حيث الحب والاخاء اللذان تقيم شعارهما وتثبت دعائمها أعمال الفلاسفة وعلماء النفوس والمشتغلون بالفنون الجميلة في عصرنا . كيف ان رجلا

هذا شأنه يستطيع حمل سلاح والوقوف بجوار مدفع ليرمى بمقذوفاته على اخوانه في الانسانية رغبة في تلاشى أكبر عدد يستطيع اهلاكه منهم ؟

كان اليونان والرومان لا يشعلون للحروب ناراً الا وهم معتقدون بأنهم مدفوعون بوجدانهم حتى كانت تظهر الحروب في عيونهم بمظهر العمل المجيد . لكن المسيحية العصرية وان أخذت شكلا جديداً لا تجعل أهلها يزون أكتافهم إعراضا عن اسمى درجة التعقل التى تدرك بها مقدار قساوة الحرب ومخالفتها لكل ما نعتبره عملا صالحا مطابقا للعقل . فنحن اذن لا نقدر على الدخول في حرب بوجدان هادىء وضمير مستريح وهذا هو الواقع فانه ليس فيما يسمعه الامبراطور من عبارات المحبة والاخلاص الكاذبة والاستعداد الى تضحية الارواح من أجله والدفاع عن أرض لا يملكونها وباطل التقديسات وفاسد التعبدات وفيما يقوم به الناس من الاعمال الخيرية بما في ذلك دفع الاعانات لسفينة الصليب الاحمر التى تولت عليها الحكومة الروسية وكان أول واجب عليها أن لا تعلن الحرب الا بعد تأكدها من مواردضرورية لهذه السفينة ولاعانه الجرحى . ولا فيما يبديه الناس من المظاهرات وما تقوله الجرائد الروسية من الاكاذيب وفيما هو سائد الآن من الاضطراب على جميع الطبقات العالية من الهيئة الروسية -- ليس في ذلك كله الا علامة على جحود الضمائر لهذا العمل الفظيع .

ان الوجدان لينذر الناس بسوء مايفعلون . لكن المجرم القاتل الذى

ابتدأ في ذبح فريسته لا يستطيع الوقوف أبداً كفا عن هذا الفعل بل يستمر مستجمعا من نفسه المضطربة قوة حتى يكمل جريمته . كذلك الروسيون يرون استمرار الحرب أمرا لا نزاع فيه لانه ما دامت الحرب قد ابتدأت فلا بد من امتدادها وبمثل هذا يتفكرون ويحكم الرجال البسطاء الخاضعون للسلطة البهيمية والاميال المنحطة السافلة . والذين هم أوسع منهم علما وأبعد نظراً لا يفهمون ولا يتصورون خلاف ذلك . فهم يثبتون أن لا وجود للقوة الاختيارية واننا لو علمنا بفساد عمل سرنا فيه لا نستطيع أن نوقف أنفسنا عند الحد الذى علمنا عنده بضرر العمل وعلى هذا تتبع البهيمة الانسانية عملها المشؤوم .

(٤)

لو انك سألت جنديا بسيطا عن الاسباب التى حملته على ترك أولاده وامرأته وأهله وانتظامه في سلك الجندية وتهيئه لقتل رجال لم يعرفهم من قبل لا ندهش من سؤالك في بادىء الامر . فهو يعرف انه عسكرى حلف اليمين وانه يجب عليه طاعة أوامر رؤسائه . فاذا قلت له ان الحرب التى كان يعبر عنها بالفتك والقتل في الازمان الماضية تناقض أوامر الله القاضية بعدم قتل النفس التى حرم الله قتلها أجابك (ومانصنع ان هجم علينا الاعداء ؛ أليس القتال باسم القيصر الشريف والشريعة الارثوذكسية المقدسة ؛) ولقد سألت جنديا هذا السؤال عينه فأجابنى بسؤال آخر « وما ذا نفعل ان أراد العدو الاستيلاء على الرمز المقدس ؛ قلت وما تقصد بالرمز قال « العلم العلم ! »

فلو حاولت أن تشرح له أن الامر الالهى أهم وأدعى للاحترام والطاعة من كل علم ورايه ولواء بل من كل شيء في الحياه الدنيا لعبس من قولك وحزن وحولك على رؤسائه الذين يجيبونك على سؤلك .

وان سألت ضابطا هذا السؤال عينه أجابك انه حربى وان الحربيين ضروريون للدفاع عن الوطن وهو لا يشغل ذهنه بعد ذلك للوقوف عما اذا كان قتل الانسان مطابقا لروح الشريعة المسيحية أم لا . وهو يقول فوق ذلك « ان الوقت الذى فيه يكون الوطن في خطر وجبت الاعمال لا المناقشة والاقوال »

سل بعد ذلك السياسيين الذين تنشب بسبب رياستهم وخبثهم في الغالب الحروب سلهم عن الغاية التي يرمون اليها يجيبوك انهم واضعون تحت أنظارهم أمر المحافظة على السلم بين الشعوب ! وانها قد حققت هذه الغاية بفضل اجتهادهم في تحقيقها . ولعل هذا الاجتهاد هو المقصود بما يفعلونه عند تجهيز الحرب !! . ثم يشرحون لك مصالح الروسيا وخبث نوايا الممالك الاخرى والتوازن الاوربي وما يتعلق به وهم لا ينطقون ببنت شفة شرحا عما يسمونه اجتهاداً في سبيل المحافظة على السلم

ثم سل الصحافيين لماذا يدفعون بالناس الى الحرب ؟ هناك يقولون لك الحروب ضرورية بل نافعة وخصوصا الحرب الحاضرة من أنفع الحروب ثم يؤيدون هذه الفكرة بجمل مبهمة سابحة في بحر الوطنية بحيث لا تخرج منها بغير نغمتي الوطن والوطنية

فكل الذين هم من أنصار الحرب أو من مجهزيها يجيبون اجابة مبنية على أسباب واحدة وربما قبلوا الاعتقاد بمضار الحرب عموما انما يستحيل عليهم قبول مثل هذا الاعتقاد في الظروف الحاضرة . وجميعهم يعملون ولا يفقهون لما يصنعون

أما القيصر فلا يجيبك بشيء غير ذلك وقد يدهش كالجندي ان سئل عن الحرب بمثل ما سألناه

وربما بعد عن فكره امكان ايقاف رحي الحرب الآن اذ يقول لك انه يستحيل عليه أن ينزع رغبة الامة الروسية من صدور افرادها وان

كان يعرف ان الحرب مصيبة كبرى وانه قد استعمل كل مالديه من الوسائط لتأييد السلم وابعاد الحرب وما زال مستعداً لذلك فى كل حين . لكنه فى الحالة الحاضرة لم يستطع غير اعلانها والعمل فى حفظ قوامها معتقداً ان هذا لصالح الروسيا ومجد الروسيين

واذا سألنا أفراداً حيثما كانوا زيداً وعمرا وبكراً من الناس عن العلة التى خولت لهم العمل فى صالح الحرب في الوقت الذى يعلمون فيه أن الشريعة المسيحية لاتحرم فقط قتل الانسان بل تحتم على المسيحي حب جاره أجابونا دائما أنهم يعملون ذلك حبا فى الوطن أو الشريعة أو الشرف أو المدنية أو حبا فى خير مستقبل الانسانية وبالاجمال حبا فى أمر مبهم غامض كل الغموض . وقد بلغ انشغال الناس على ذلك بتجهيز الحرب وأحوالها مبلغا جعلهم ينسون معه حياتهم فغفلوا عنها واعتبروها أمراً دنياً

(٥)

مثل حال الانسانية الآن مثل سائح ضل فسلك سبيلا كلما سار فيه تبين له خطأ الطريق . وكلما ازداد اقتناعا بخطئه استحث جواده في عدوه وبنفسه أمل الوصول الى المنتهى المقصود . ثم هو لا يزال يوغل فى مجاهل الطريق حتى تأتى له لحظة يرى فيها جلياً ان سيره قد أوصله الى هوة بينها وبين أول السبيل بعد طويل

ومعنى ذلك اننا لو قضينا الحياة كما نقضيها اليوم بأن كانت الرغبة فى السعادة الشخصية أو السعادة الوطنية هى الغاية الوحيدة من أعمالنا الفردية أو الاشتراكية وكان سعينا وراء تحقيق هذه السعادة باتخاذ العنف واسطة والقهر مبدأ فنحن نضاعف دائما في وسائل الشدة والقوة شخصية كانت أو اجتماعية أو دولية . ونخرب باتلك بدانا باستهلاك أعظم محصولنا على القتال والتسليح ونحط بأنفسنا أدبيا فضلا عن تضحية أقوانا جسما وأعزنا نضارة وعمرا في الحروب

نعم هذه هى النتيجة التى لابد منها اذا نحن لم نغير كيفيات تصرفاتنا العملية والا فقد بانت الهوة التى نسير فى طريقها حيث قد شعر أصغر الفلاسفة منا وأقلهم اطلاعا بموقفنا وما يحيط به من الاخطار وبالطريق الذى نحن اليه مسوقون

ان من سكنت قلبه الطهارة وثوت فيه السلامة لايعرف لنفسه تعزية من امكان وجود وسائط لاصلاح هذه الحالة السيئة . اذ قد كانت تصح

التعزية للانسان عند ظروف معلومة فى سابق الازمان عند ما كانت حكومة رومية ثم شارلمان ثم نابليون صاحبة السلطان على جميع البلدان بل عند ما كان للباباوية من النفوذ المعنوى والسلطة الادبية ما كان . وللاتحاد المقدس بعد ذلك من عظم الشان . نعم كانت تصح عندئذ التعزية ولكن ما العمل وقد انفصلت الامم بعضها عن بعض بفواصل طبيعية أو سياسية وأصبح أمر انشاء جمهورية أو مملكة ذات سلطة عامة على العالم من المحال بما ان الامم ترفض الالتئام لتكوين مملكة واحدة على هذا النظام ؟

أنرجع الي المحاكم التحكيمية للفصل فى منازعاتنا الدولية ؟ اذا كان كذلك فمن يكره الملوك على الخضوع تحت امرة هذه المحاكم وهم هم مستولون على الملايين من الرجال جنودا ؟ . أم نرجع الى القول بوجوب نزع الاسلحة وليس من يبدأ برمى سلاحه أو يريد له نزعا ؟ .. وهل يفيد اختراع آلة هوائية مفرقعة داخلها القنابل والمواد التى ان فرقعت أحدثت اختناقا فهابها الناس وأصبحت معها الحروب أمراً محالا ؟ كلا . اذ هناك لا ألو الدول جهدا فى الحصول على هذه الآلة ، ويعى الانسان . وقد كان لا تنصب عليه غير قذائف البارود تحت مطر هذه المواد وخطر الاختناق منها .

هذا . وليس بعد ما خطبه الوزير مورافيف والاستاذ مارتنس محاولة منهما فى اقناع الناس بأن الحرب ضد اليابان لا تناقض مبادىء

مؤتمر السلام شيء أقوى بياناً وأسطع برهاناً للدلالة على ان الكلام الذى هو الواسطة فى تبادل الافكار وفيما يود التعبير عنه قد أخذ في هيئتنا الاجتماعية شكلا من ضروب التحوير وصنوف المغالطة صار معه نور الفكر الجلى تأثها في ظلمات التمويه . كأن الكلام لم يكن مرشدا فى الحياة الانسانية بل عاملا لتأييد كل عمل بشع فظيع . لكنها الاقوال وان كان ظاهرها الحق فلا يخفى باطنها الباطل ولا يؤثر طلاؤها العاطل على فكر المتمعن ثم لا تزيده هذه المغالطة الا تنبها الى الهوة السائرة نحوها الانسانية ويقينا بخرج مركزها وعلما بأنه لا نظام جديداً يمكن استنباطه حتى ننجو من الخطر المحدق بنا والضياع الذى نحن في سبيله سائرون

دع عنك الاخطار الاقتصادية وما يحيط بها من الاشكالات التى يتفاقم خطبها من أجل الحروب يوما بعد يوم فان مصائب توتر العلائق وفتور الروابط بعد التقاتل وخبائث التفاهم ومساوى الظنون عند وقوع خلاف وقيام نزاع أدهى وأمر . وهى تدل جليا على أن الانسانية تسير طريق هلاكها بخطوات حثيثة وهذا كله مما يجعلنا نتساءل عما يجب علينا عمله حيال هذه الحال

٦

كان حنا المعمدانى وعيسى بن مريم من بعد يقولان للناس منذ عشرين قرناً : « قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فآمنوا بالانجيل » (١) و « ان لم تتوبوا تهلكوا جميعكم » (٢) . لكن الناس لم يسمعوا نصائح المسيح ولم يتبعوا ارشاداته فصارت البلية التى حذرنا منها ونبأنا بها على قاب قوسين أو أدنى . ونحن في هذه الايام لا نستطيع انكارها حيث قد شاهدنا وشعرنا بأننا في طريق الضياع سائرون . لانه يستحيل علينا أن نقف على ما يمسنا فقط من جراء الحروب وما يتبعها من سيء النتائج ووخيم العواقب مع صرف النظر عما يحيط بحياتنا الشقية من باقى المصائب ولا نعتقد اعتقاداً يجعل الشك له منفذاً بأن الحروب سبب هلاكنا لا محالة كما أنه يستحيل علينا أيضا أن نجد كمالا من الوسائل المستنبطة للفيئة تحت ظلها فراراً من هذه الكوارث . ولن نجد من هذه الوسائط ظلا ظليلا بخلاف موقف الشعوب المحزن التى تنزع الى العداء والقتال فهو لا يزداد الا قوة وثباتاً . لهذا كنا نحن المقصودين فى هذا العصر بأقوال المسيح .

ان معنى التوبة من قول المسيح هو انه يجب على كل انسان أن يقف عن عمله المتحمس فيه ويسأل فى نفسه . من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟

---

(١) انجيل المسيح للقديس مرقص ١ و ١٥

(٢) انجيل المسيح للقديس لوقا ١٣ و ٥

وما هي مهمتي في هذه الحياة ؟ حتى اذا ما أجاب على هذه الاسئلة وجب عليه أن يقرر اذا كان ما يصنعه مطابقا لمهمته أولا ؟ وانه يكفي في هذا العصر لكل فرد من الواقفين تماما على روح الديانة المسيحية أن يقف بنفسه قليلا وينسى ما يقوم به من العمل امبراطوراً كان هذا الفرد أو عسكرياً أو وزيراً أو صحافياً ثم يتساءل بعد ذلك عمن هو وعن مهمته وهو يداخله الشك تواً فى فائدة وصواب وحكمة عمله

ثم قبل ما يكون الواحد منا امبراطوراً أوعسكرياً أو وزيراً أو كاتبا وجب عليه أن يعرف قبل كل شيء انه انسان أى كائن وقتى مبعوث بارادة عالية ليقيم لحظة في عالم لا يحده الزمان ولا الفراغ ثم يموت بعدئذ أعنى يخفى ويفنى . لهذا كانت العزائم والاعمال الفردية والاشتراكية والشعبية بل والدولية التى نرمى اليها أو ننكره من آخرين عليها سريعة السقوط قريبة الزوال تبعاً لناموس الحياة البشرية وأزلية الحياة الكونية . ووجب أن تكون عزائمنا ذات ارتباط بالمقصد السامى الذى من أجل تحقيقه بعث الله الانسان في هذا الكون

حقاً انه ما دام وجودى في هذا العالم محدوداً فأنا لا أستطيع أن أصل الى هذا المقصد لكن ذلك لا يمنعنى عن معرفة وجود غاية لي حيث ان كل موجود لا بد له من غاية وان الغاية من مهمتى هى أن أسعى الى هذا المقصد السامى أو بعبارة أخرى ان المقصود من مهمتى أن اكون تحت أوامر الله وأن أنفذ صنعه وارادته . فلو عرف كل واحد من الامبراطور

العظيم الى الجندى الصغير مهمته فى هذه الحياة لما نظر الى واجباته بالعين التى ينظر بها الآن أو التى يرغم على النظر بها ولحق للامبراطور ووجب أن يحدث نفسه بمثل هذا القول « انى قبل ماتتوجت عاهدت ووعدت أن أؤدى بحق ماتأمرنى به الارادة العالية التى منحتنى الحياة . وما كنت لاعرف فقط هذه الوعود والمواثيق بل كنت أشعر بها قلبياوأعلم ان مغزاها الخضوع للارادة الالهية القاضية بحب الجار والعمل له بما أودأن يصنعه لى . فهل أنا أطيع لهذه الارادة المقدسة والحال انى آمر رعيتى بارتكاب الشدائد من الجرائم والحرب التى هى أفظع الشرور وأكبرها وبالا ؟ ... يقول ويؤكد لى الناس بوجوب ترأسى هذه الاعمال الشريرة من فرض ضرائب باهظة وتوقيع عقابات قاسية . واشعال حرب نارية لهلاك أمثالى فى الانسانية فهل كنت لاوامر الله مطيعا ؟ »

فالجندى الذى رسخ فى اعتقاده ان القتال واجب باسم الدين والقيصر والوزير الذى يظن واجبه فى تجهيز الحرب والناشر كاتبا كان أو صحافيا وبالاجمال أى انسان على الاطلاق عرف من هو ووقف على حقيقة مهمته فوق هذه البسيطة لابد له من مناقشة المسألة على مثل هذا الشكل بحيث انه بمجرد مايمسك رئيس البلاد عن اعلان الحرب ووزيرها عن تحضيرها وصحافيها عن نشر مايحرض عليها ويسعر لهيبها يحل الاشكال وتصلح الحال من غير احتياج الى استنباط نظام جديد ولا الى الرجوع الى اثبات تدبيرات استثنائية واحتياطات ناقصة وبذا تزول الحروب وما

شابهها من الشرور التي يخلقها الانسان لنفسه بخطئه وسوء ظنه

وخلاصة القول مهما ظهر غريبا هي أن لا وسيلة لضمانة السلام بغير الرجوع الي ماينادينا ويجيبنا به الوجدان وذلك بسؤالنا عمن نحن ولماذا نعيش وعما يجب علينا عمله أو الامتناع عن فعله

obeikandl.com

(٧)

ترجع أصول الداء الذى نتوجع منه الى ان أغلب الناس يعيش بغير دين يكون بمثابة المرشد الحكيم في أعمال الانسان الحيوية دين يدرأ الشبهات ويعين الحدود ويقرر الصلة بين الاله الاعظم وبين خلقه فيبين لهم فى جميع مرافق المعاش واعمال الحياة طريق الحق الذى ان أفلتوا عنه دحروا الى ماهو أسفل من مرتبة البهيم .

هذا الداء الذى نحن في صدد الكلام عنه يفشو اليوم بقوة مخصوصة هى توجيه عنايتنا ومجهودنا الى مكتشفات العلو نبذنا الدين ظهريا حتى أصبح انسان هـذا العصر . فى خصر . نعم اننا لانتكر ماله من نفوذ وسلطان على القوى الطبيعية لانهما نتيجة درسه أسرارها ووقوفه على رموز خفاياها . لـكن غياب الدين القويم المرشد الحـكيم عند استخدام هذه السلطة حمله طبعا على استعمال نفوذه فى ارضاء أضعف طباعه وسد حاجة شهواته . وصار مثل الناس وقد استولوا على زمام الطبيعة وعاشوا من غير دين مثل أطفال أعطيت لهم من اللعب التى يتلهون بها غازات مفرقعة أو مواد قاتلة

وكأني بالنظر الى النفوذ الذى يتمتع به الناس والي استخدامهم له يري أنهم لو بلغوا من درجات الرقى الادبي غاياتها لبطـل حقهم فى التمتع بالمخترعات الحديثة من سكك حديدية وبخار وكهرباء وتلفون وتلغـراف لاسلـكى بل لسقط حقهم في الاشتغال بالحدايد لان هذه التطبيقات العلمية والفنية لاتنتج لهم غير ارضاء مطالب زخرفهم ولهوهم وفحشائهم وابادة

بعضهم بعضا حتى يهلك النوع

ولكن ما العمل ؟ أيجب علينا أن نعرض عن جميع هذه الاختراعات التى امتزجت بوجودنا فا كتسبت بها الانسانية قوة وتمكينا ؟ ... أيحتم علينا نسيان ما حفظت ؟. ان هذا الأمر محال. لانه مهما أسيء فى استعمال النفوذ الانسانى على الطبيعة فالناس لا يستطيعون اهمال ما حصلوا عليه بواسطة هذا النفوذ . . .

أم يجب استبدال النظام الاجتماعي الذى تكوّن بعد الرق الانسانى أو اختراع نظامات للحكومات تمنع الاقلية من غش وخداع الاغلبية ؟ وهل يفيد انتشار التعليم دواء لهذا الداء ؟

قد جربت كل هذه الوسائط وما زال بعض الناس يختبرها بحماس على أنها لن تأتى بالغاية المنشودة بل ربما ضلات الابصار وأعمت القلوب عن ضياعنا العاجل ؟

فلتغير حدود الممالك وتبدل النظامات وينتشر التعليم فالناس بين حدودهم ونظاماتهم ومعلوماتهم الجديدة وحوش يتهيؤن فى كل لحظة للتقاطع والتدابر والتقاتل مادامت الشهوات هى التى تقود شؤنهم في هذه الحياة وما دامت نفوس الناس على ضربهم. الجاحد للدين والنابذ لبعض أصول الشرع القويم مملوأ بحب الذات . منقاداً للشهوات فأمثال هؤلاء لا ينقذون من الوحشية ولا يجدى في اصلاح حالهم الا الدين الذي يحررهم من رق هذه الاباطيل ويرفعهم الى أعلى عليين ولكنهم نبذوه فكانوا هم الخاسرين

(٨)

يري أغلب الناس ان الحروب لا تزول الا ان عافها وتاب عنها جميع أفراد النوع البشرى على الاطلاق وأدركوا ان مهمتهم فى هذه الحياة هى اطاعة الاوامر الالهية وتنفيذ ارادة الله العالية ومد يد المساعدة بعضهم لبعض. فهل هذا الرأى قابل للتحقيق ؟ نعم وليس تحقيق ذلك أمرا ممكنا بل ان من المحال عدم الوصول اليه والى التوبة عن الحروب توبة يقين واخلاص . بمعنى انه يستحيل على كل فرد منا أن لا يسأل نفسه عمن هو ولم يعيش ؟ لان الانسان ـ باعتباره كائنا حساسا عاقلا ـ لا يعرف للحياة معنى اذا هو لم يدر لم يعيش .

ولقد تساءل الانسان في كل عصر من العصور عن هذه الامور فكان دائما يجيب عنها بتأييد مبدأ دينى بقدر ما توصله اليه درجة ارتقاء فكره . كذلك بحث نكران وجد اننا في هذا العصر لما هو واقع فيه من داء الحروب الى هذا التساؤل عينه وحتم علينا الاجابة بما يطمئن به الوجدان . فليس لدينا اذاً والحال كما ترى الا الاعتراف بالاخاء قاعدة للحياة لان هذا الاعتراف الصائب هو خير جواب من أمثالنا في مثل هذا العصر . ولقد أرشد اليه الانسان منذ تسعة عشر قرنا وعرفه الناس في وقتنا هذا وان أنكره بعض قليل

ان هذا الاخاء هو الآن شعار الوجدان . وهو ان خفى تحت أضلاع الصدور ولم يقدنا في حياتنا فما ذلك الا لسوء معتقد العلماء الذين

داخل نفوسهم الغش والخداع فاعتقدوا ان الدين عثرة في سبيل العقل الانسانى الذى جازها وأصبح قادراً على تسيير البشر من غير دين . نعم هذا ما يعتقده الذين يتوهمون في نفوسهم العلم ويلقنون به الناشئة في أدوار التعليم

فلتحقيق هذا الاخاء وظهور آثاره بين الناس وجب أن يفهم هؤلاء العلماء مبدئيا أن حكمة المبدأ الاخائى وقاعدة عمل الانسان لغيره بما يجب أن يعمل له الغير به ليستا فقط مطلبين انسانيين لكنهما حقيقة مصدرها الصلة الثابتة بين الاله الازلى والانسان الفانى . وأن يعتقدوا ان هذه الحقيقة هى كل الدين وانها ضرورية للناس في كل العصور . ووجب عليهم التأكد بأن ما يلقنونه في النفوس من الاباطيل وما يغذون به العقول البشرية من الاضاليل شؤم على العالم الانسانى لانها داعية الى حب الذات قاتلة لسواد الاخاء بين الناس . وكفى بالذين يريدون اطفاء نور الله وتفهيم الناس بأن الدين بقية من بقايا الوحشية وان لا قوام للحياة بغير انتشار المعارف المختلفة التى ترمى الى تثبيت العدالة وكرامة النفوس في يوم بعيد جدا كفى بهم تضليلا على الافهام وزيغا عن أنوار الحق وتيهاً في غياهب الباطل حتى يستطيع الناس أن يتساءلوا عن معنى الحياة ويسمعوا ما يناديهم به الوجدان. هناك يدركون ان الدين ضرورى للحياة الكمالية الراقية وان روحه أساس وجدانهم العصرى . بل كفى بالذين يدهشون العوام بأوهام الكنيسة أخذاً بظواهر الدين . وحق عليهم تفهيم الناس بأن

المهم منه ليس فى القداس والاعتراف ومراعاة عادات الكنيسة وترتيب نظاماتها بل في حب الله باطاعة أوامره والابتعاد عن نواهيه وفي العمل بناموس التعاون الذى هو الشريعة بأجمعها والمقصود من ارسال الانبياء

ثم يكفى بعد هذا كله للوقوف على هذه الحقائق البسيطة الواضحة وتعليمها للاطفال والرجال ـ كما يعلمون الآن القضايا المبهمة الغامضة التى لا تفيد مطلقا ـ أن يدرك كل الناس معنى حياتهم الحقيقى ويسيروا على مقتضي الواجبات المنطبقة على هذا الادراك

(٩)

هذه صورة خطابات مزارع روسى أبي تأدية الخدمة العسكرية . قال « دعيت في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٥ لتأدية الخدمة العسكرية فلما جاء دورى في سحب القرعة رفضت ذلك بتاتاً فتأمل بي العمال قليلا ثم تحادثوا فيما بينهم ملياً وسألونى عن سبب هذا الرفض . فأجبت بأننى لا أريد حمل سلاح ولا حلف يمين . فأشاروا الىّ بسحب القرعة مبدئياً ثم أفعل ماأشاء بعد . فرفضت هذا ثانية . فصدر أمر الرئيس الى أحد العمال بالنيابة عنى في السحب ففعل وكان ما سحب نمرة ٦٧٤ التى قيدوها كسابق النمر .

وبعد انتهاء الاعمال نادى بى رئيس مجلس القرعة وسألنى . من علمك رفض تأدية اليمين ؟ قلت تعلمته بنفسى من مطالعة الانجيل . قال انى أشك في فهمك للانجيل على هذه الصورة حيث ان كل ما فيه غامض لا تحل رموزه الا بعد دراسة طويلة . قلت ان المسيح لم يكن ليخاطب الحكماء بانجيله لان أصغر الناس اطلاعاً على اللغة يستطيع فهم مبادئه . فأمر بعدئذ أحد الجنود بتوصيلى الى حيث يقيم رفقائى .

فلما جن الظلام وتناولنا الطعام سألنى الرفقاء عن سبب رفضى لحلف اليمين . فأجبتهم بأن الانجيل يقول « انك لن تحلف أبداً » فاندهشوا من جوابى اندهاشا عظيما ثم عادوا فسألونى « أحقيق ماتقول ؟ وهل لك أن تريناما ذكرت في الانجيل حتى نكون من المصدقين » . قلت . نعم . ثم بحثت عن موضع هذه العبارة وقرأتها لهم فقالوا « هذا هو الحق .

انما يستحيل علينا عدم حلف اليمين لاننا نعاقب على ذلك بشدة وقساوة، فقلت . ان من يفقد حياته على هذه الارض لن يعدم الحياة الازلية في السماء

وما جاء يوم ٣٠ اكتوبر حتى عينونى فى أحد الصفوف مع جنود آخرين فى سن الشباب ونضارة العمر ثم تليت علينا الاوامر الحربية بعد . فأعلنت مخالفتى لهذه الاوامر فسألونى عن سبب ذلك أيضا فأجبت « بما اننى مسيحى فقد حرم على حمل الاسلحة كما حظر على الدفاع عن نفسي ضد العدو لان المسيح أمر بحب الاعداء أنفسهم ثم سئلت بما يأتى

ـ نحن كلنا مسيحيون . فهل أنت المسيحي الوحيد ؟

ـ ليس لى شأن بغيرى . واني على يقين بأن المسيح أمر بصنع ماأفعل الآن

فقال القومندان ـ اذا لم تطع الاوامر العسكرية فسأزجك فى أعماق السجون

قلت ـ لك أن تفعل بى ماتشاء أما أنا فلا أؤدى الخدمة العسكرية ؛

وكان حولى بعض الضباط والرؤساء وهم يتفرسون وجهى في جيداً فسمعت قائداً منهم يقول « ماهى الافكار التى عساها تدور في خلد هذا الشاب المسكين حتى يرفض الخدمة وفيها الملايين من المسيحيين ؟ فهل لكم بجلده حتى لايعود الى ذكرى هذه الاوهام ؟ » لكنهم تركونى وفى نفسهم حب الاساءة الى

اجتمعت بعدئذ في الليل بجماعة من رفقائى وتحادثنا كثيرا في هـذه الشؤن الاان أحدنا لمسمى « سيريل سيرادا » ابتعد عنا قليـلا متناولا الانجيل قارئا الفصل الخامس للقديس متى . فحيث انتهى من مطالعته انضم علينا وقرأ على مسمع منا شيأ مما طالعـه وحيداً ثم قال « أنتم ترون اذاً ان المسيح يحظر علينا الحروب وحلف اليمين ومع ذلك فاننا نرتكب كل هذه الشرور ونعتبرها عملا حقا !! » ثم انضم على أثر ذلك اثنان أرقى من الجميع رتبة فى الجيش وشاهدا هذا التغير فى الاعتقاد من « سـيرادا » ونزوعه الي مخالفة الاوامر العسكرية فسألاه عن سبب ذلك فقال « لقـد كان بيني وبين الحق سد هائل . أما الآن وقد بدأت بمطالعة الانجيل فقد علمت ان كل مانصنع مخالف لاصول الدين

قالا ـ اذا لن تصلح للخدمة كما لم يصلح لها أولـكوفيك الذى عصي عن حلف اليمين وسحب القرعة من قبل ؟

قال ـ صدقتما

قالا ـ ولماذا ؟

قال لانى مسيحى ويجب على المسيحيين ان لايتسلحوا قصد اهلاك وفتك النوع الانسانى »

وعلى هذا أوقفت مع سيرادا وبعث بنا الحـكومة الروسية مع المجرمين الى حكومة باكوتسك عقابا لنا على مااعتقدنا والله بصير بما يفعل الظالمون » اه نقلا عن كتاب « مراسلات أولكوفيك » واليك

نبذة أخرى من كتاب « حياة وموت دروجينى » جاء فيه :

« وكان دروجينى يتعاطي مهنة التعليم ويدير حركة وشؤون مدرسة كبيرة من حكومة كورسك وكان مشهورا بالتقوى وطهارة الذيل وسلامة القلب حتى ان أثر صلاحه انعكس وانطبع فى نفوس تلامذته الذين كانوا يأخذون العلم عنه

دعى دروجينى الى تأدية الخدمة العسكرية فى أغسطس سنة ١٨٩١ فرفض وأبى حمل السلاح محتجاً بان جميع الناس في نظره اخوة يشد بعضهم بعضا وان قتل النفس من فاحش الجرائم التى لا غفران لها فضلا عما يعقبها من وخز الضمير الذى يجعل الحياة أمر من الصبر وان النزوع الى التسلح لمقاتلة الانسان أمر تنكره الطبيعة البشرية والارادة الالهية

كذلك لم يحلف اليمين . اذ كان يعتبر ترك الارادة الشخصية الى أشخاص آخرين قد يسألونه ارتكاب الشرور جرما سافلا لا يتدنس به الا كل ضعيف الثقة في نفسه كل راغب فى المذلة والخنوع

فأصاب دوروجينى من وراء رفضه واعتقاده عام يقضيه مع المجرمين بأقصى السجون الروسية . فقضاه بعد ان أذاقه الرجال الحربيون الذين لم تكن حياتهم غير سلسلة من فظائع العنف والقتل ماهو جدير بأناس هذا حال حياتهم . ثم أرسل الى بيت النظام العسكرى ببلدة فورتيج حيث قضى خمسة عشر شهراً بين قارص البرد وألم الجوع ومذلة السجن فأصيب بداء عضال في القلب حولوه من أجله الى سجن ملكى بعد ان حكم عليه

بالاقامة فيه تسع سنين . لكنه لم يعش بعد طويلا وهو يردد بين شفتيه هذه العبارة التى سمعها عنه الطبيب « لقد عشت بين أنوار الهدى والحق وان قضيت حياة قصيرة بين الذل والبؤس . فأنا اليوم أموت والقلب منى مستريح والضمير هادئ حيث لاوخز ولا تأنيب » اه

***

قال أولكوفيك ذلك المزارع البسيط فيما نقلناه اليك في هذه الرسالة « بما انى مسيحي فقد حرم على حمل الاسلحة كما حظر على الدفاع عن نفسى ضد العدو لان المسيح أمر بحب الاعداء أنفسهم » ولكن ما العمل الآن وقد هجم العدو علينا نحن الروسيين وهو يقتل من رجالنا وبأى مظهر يجب أن يظهر به كل من الجندى الروسي والضابط والجنرال والقيصر وغيرهم من باقى الرعية ؟ أيجب ترك العدو يخرب ديارنا ويفسد متاعنا ويستولى على نتائج تعبنا ويأسر فينا ويقتل من رعايانا ! ما العمل الآن وقد بدت الحرب الروسية اليابانية ؟

لو ان كل انسان ثوى بين جنبيه ضمير حى فعرف ان مهمته بهذه الحياة هى فى تنفيذ ارادة الله الذى أوجده من عدم وفي اطاعة أوامره القاضية بحب الجار والقيام بخدمته ـ تساءل فى نفسه قبل قيامة الحرب عن العلاقة بين مهمته في هذه الحياة وبين التنازل عن حقوق على بورت آرثر لصالح الصينيين أو اليابانيين أوالروسيين . لما وجد هناك أقل علاقة تدعوه الي الخروج . عن المقصود من مهمته والابتعاد عن راسخ

النواميس الحيوية للدخول فى عمل شرير أساسه ضعف العقيدة وفساد الرأى

ان الله لايسأل المقاتل بعد موته ان كان قد دافع حق الدفاع عن « يونان بو » ومستودعات أخشابها أو عن بورآرثر وأهلها أو الروسيا بما فيها ولكنه يسأله عما صنع بحياته التى أودعها تحت تصرفه وهل كان مافعله بها مطابقا لشرائط هذا الايداع موافقاً لمبادىء شريعته هولا لأصول شرائع غيره أولا

فاذا أشعلت الحرب نارها أو لم تشعل وقتلت الالوف من اليابانيين أو الروسيين أو لم تقتل. واستولى أولئك على بورآرثر وموسكو وبطرسبورغ أو لم يستولوا . وبالاجمال مهما كانت الحال الحاضرة والظروف الراهنة فان الرجل حيثما كانت حيثيته والذى يعرف واجبه حق المعرفة لايدرى لذلك حلا بغير الرجوع الى اطاعة أمر الله والخضوع لارادته والقول « بأننى لاأستطيع ولا أريد أن أدخل في الحرب أو أمد يد المساعدة لها بأى شكل كان ولا أدرى ماينشأ بعد ذلك في الحال أو الاستقبال من وراء امتناعى عن عمل يخالف ارادة الله . ولكنى معتقد اعتقاداً ثابتاً أنه لايمكن أن يكون وراء هذا الخضوع غير المنفعة لشخصى وللناس أجمعين »

يتساءل الناس عما يؤول اليه الروسيون اذا هم أوقفوا رحى الحرب وتركوا لليابانيين كل مايفرضونه عليهم من المطالب . وانى أجيب عن ذلك بأنه اذا كانت الوسائل الصالحة لفك قيود الانسانية من هذه الطبائع الوحشية ومن التقاتل والتهالك موجودة متوفرة في أصول

الدين — وهذا مما لاشك فيه — فكل تطويل لأمد الحرب داع الى وضع العقبات الكؤد في سبيل السلام وجعله بعيد المنال بحيث إن تركنا لما يطلبه منا اليابانيون هو الواسطة الوحيدة التى تقربنا من السلم بخلاف استمرار الحرب مهما كانت نتائجها فانها تبعدنا عنه

يقول بعض الناس ان الحروب لاتبطل الا اذا رفض كل الناس أو أغلبهم المشاركة فيها والعمل لها . والكلية أو الاغلبية قيد لازم لان رفض شخص واحد لهذا العمل سواء كان القيصر أو جنديا صغيراً لايجدى فائدة بل يضر صاحبه ضرراً جسيما . ومثل القيصر اذا تبع هذه النصائح عزل وقد يمزق فوق أريكة ملكه فما بالك برجل من الرعايا ؟ هلا يعذب بالبيوت النظامية الحربية وهلا يموت رميا بالرصاص جزاء رفضه الخدمة العسكرية !! فما فائدة الرفض اذاً في الوقت الذى يمكن للانسان أن يؤدى فيه عملا مفيدا للهيئة الاجتماعية ؟

هذا مايقوله بعض الناس الذين لايفتكرون في المهمة الحقيقية التى يجب عليهم أن يعملوا لها في هذه الحياة . لكن الذى يعرفها ويفهمها يقول خلاف ذلك ويشعر بعكس مايشعرون لانه لا يبنى أعماله على مايوافق مصلحته الذاتية بل على مايقضى به الواجب ويرضاه .

يذهب العامل الى معمله ثم يؤدى العمل المنوط به وهو لايفكر أبدا في نتائجه كذلك يؤدى الجندى أوامر رؤسائه والمتمسك بدينه ارادة ربه وليس لهما أن يسألا نفسيهما عن نتائج مايؤديان . لهذا لايسأل

المتدين عما اذا كان هناك أناس آخرون يدخلون في معامع الحروب أو يساعدونها بما في وسعهم أو خلاف ذلك لكنه يعمل مايراه واجبا وليس بعد ذلك مسئولا عن نتائج ماصنع وغاية مايعرف فوق هذا ان النتائج بيد الله وارادته

ان الرجل المتمسك بأهداب دينه لينهج هذا المنهج لا لانه يرغب فيه أو يرى منه فائدة له أو مصلحة لاناس آخرين . بل لان حياته تحت أمر الله يفعل بها مايشاء انه على كل شيء قدير .

وعليه فلا خلاص للناس من البلايا والشرور المحيطة بهم الا بقدر مايراعون به حرمة الدين لا المصلحة الفانية التي من أجلها يستميتون

(١٠)

صدى حادث مكاروف

عند ما انتهيت من تسطير رسالتى الاخيرة جاءت الاخبار منبئة بهلاك ستمائة رجل من الجيش الروسى العامل في الشرق الاقصى على أفظع حالات الهلاك وأبشع ما تنتهى عليه الحياة الانسانية وأعظم ماتنذر به الحوادث سوء ما قدمت أيدى الروسيين الذين سعوا في اشعال الحرب وكانوا لها من المحرضين

انى لا أتكلم عن الاميرال مكاروف والضباط الآخرين لانهم كانوا يعرفون ما يصنعون ويلجؤن الى القتال بحماس رغبة في مصلحة وطمعاً في منصب وان استتروا بثوب الوطنية الكاذب . ولكننى أتكلم عن هؤلاء البؤساء الذين خدعوا وهددوا بصارم العقابات فنزعوا من بين مرافق حياتهم الشريفة العملية النافعة ورمى بهم في أقصى البلدان ليمزقوا هناك أشلاء فوق الماء كما تمزق النسور الجيفة فوق الجبال ثم يطويهم البحر في جوفه طى الكتوم السر فى قلبه وبينهم وبين أولادهم الذين يطعمون بعملهم ويعيشون من كدهم نصف دائرة النهار بعداً .

ألا ان الحوادث متشابهات فما أشبه الليلة بالبارحة !

بعث الجنرال البولونى « كلوپيستكى » مساعده في ميدان القتال واسمه « فليجنسكى » الى بطرسبورغ إبان الحرب البولونية للمخابرة في

الصلح مع المرشال الروسى المدعو « دييتش » . فلما التقيا قبل المرشال الروسى ما طلبه اليه المبعوث البولونى على شريطة عدم مقاومة الجيش الروسى عند دخوله قلب البلاد البولونية . فقال له المبعوث « لا أظن يا سيدى المرشال ان هذه حال يرضى بها الشعب البولونى .

قال المرشال ـ اسمع لكلامى واتبع ما أشرت به عليك فلا يعارض امبراطورك في ذلك .

قال البولونى — انه يظهر لي من خلال هذه التصريحات وقوع الحرب وسفك دماء الابرياء ضحية في سبيلها لا محالة .

قال المرشال ـ لن يقتل فيها كثيرون اذ جل ما يفقده الطرفان عشرة آلاف محارب ثم ينتهى الاشكال »

على هذا اتفق خاطر المرشال بخاطر رجل لا يقل عنه قسوة وشدة وبعداً عن الحياة الاهلية البولونية والروسية هو نيقولا الاول قيصر الروس فقادا الى الممالك عشرات الآلاف ومئاتها من الرجال روسيين وبولونيين . حتى اذا ما انتهى القتال وعدت الرجال وجد عدد الموتى ستين ألف رب أسرة وعيال وكان المرشال الروسى اذ ذاك من الهالكين .

. . .

أما اليوم فلمنع اليابانيين من الاستيلاء على منشوريا والاقامة بكوريا وجب أن يكون أقل تقدير خمسين ألفاً من الرجال حتى يتأكد نيقولا الثانى وكوروباتكين بأن تضحية هذا العدد كافية لمنع اليابانيين كما تأكد

نيقولا الاول وديبتش بأن عشرة آلاف رجل تكفي للفوز المبين

لكن نتائج اليوم لا تخالف نتائج الامس . فان الذين يغرر بهم لحمل السلاح كثيرون ومحاصد اليابان أشد وطأة من مقاتل بولونيا والقيصر فوق ذلك لا يألو جهدا في تقديم الرجال الى الموت للمحافظة على السياسة الروسية بالبلاد الاسيوية الشرقية تلك السياسة التي بنيت دعائمها على المطامع السافلة والغباوة الظاهرة . وهم هم في قصورهم متنعمون ينتظرون أكاليل الفخار لتتوج بها رؤوسهم وشارات المجد لتحلى بها صحائف تاريخهم . نعم كل هذا ينتظرونه من وراء هلاك خمسين ألف روسي على ما يزعمون ؛

تفقد الروسيا الملايين من خيرة الشبان الذين تزدان بهم البلدان فتؤثر خسارتهم على الذرية من بعد . وتسوق أحسن العمال الى ساحات النزال أفواجا أفواجا . وما هذا كله الا رغبة في تثبيت قدمها على أراض نزعتها غصبا وباطلا مع انها لا تصلح لها وحبا في حماية وتشجيع مشروعات غير موثوق بنجاحها ترمي الى استخراج الأخشاب من الغابات الكورية التي لا تملكها

فعلى مثل هذا شيدت آمال الذين يبعثون الى الموت آلاف الروسيين

. . .

أما وقد خسرت بحريتنا اليوم خسارة هائلة من الرجال والمال بسبب اهمال ذوي الامر في تدبير الشؤن والاحوال فليس لنا مناص

مما يهدد جيشنا البرى الآن بفقدان عشرات الالوف من الجنود كان خسارتنا البحرية قد أظهرت طريق الهلاك المنتظر لرجالنا في البر

ومع ان أولى الامر لا يرتابون مما جنت يداهم وسيء تصرفهم فهم يعتقدون بأنهم يقومون بواجباتهم ويفتخرون بذلك وان خابت الآمال وساءت النتائج

ثم لاحديث للناس اليوم بغير بترباولسك ومكاروف الذى تمجده الجرائد وتظهر ببراعة وبيان كيف كان نابغة في تهيئة وسائل قتل الانسان. وتبكى عليه بكاء الثكلى وتتألم من فقد سفينة حربية كلفتها ما كلفتها به من ملايين الجنيهات

وتتساءل الصحافة الروسية بصوت واحد عن قائد يتولى شؤون البحرية بعد مكاروف على أن يكون بارعاً مثله في الشرور وكلها تصيح مع القيصر بالاستمرار في طريق الهلاك والقساوة والدمار

قالت جريدة النوفويه فريميا الروسية «ليس لنا في الروسيا الا مكاروف قائدا فليتبع من يتولى مهام وظيفته آثار مشروعاته ولينهج بهمة مثل مانهج ويستمر في انجاز مارسم »

قالت جريدة بطرسبورغ « ادعوا الله أيها الروسيون أن يقدس أرواح من ماتوا ضحية الوطن المقدس وتأكدوا ان لنا من أبناء هذا الوطن عينه فوق مايكفى لاستمرار القتال وتتميم عمل بدأنا فيه »

قالت جريدة روس « ان أمة الروس بذكائها واقتدارها لايهزها

مثل هذا الانهزام فيدحرها الى الاعتراف بالخذلان لكنها تستمر في القتال بجديد القوى وآساد الرجال »

وعلى هذه النغمة نفخ كل صحافى في بوقه ودقت طبول أولى الامر على مثل مانفخ الصحافيون في الابواق فاستمر التقاتل كما كان عليه من الحماس والجنون وكثر عدد المتحمسين المتطوعين فضلا عما يبعث بهم القيصر من الجنود الى الشرق البعيد . ثم هو باعتباره العامل الاساسى لهذه الحرب يتناول برقياً كل يوم ماعساه يشم منه رائحة الفوز حتى يشجع رجاله على هذا العمل الفظيع

انه اذا كان هناك من الآن باب للسلام يستطيع الروسيون الخروج منه فى ظروفهم الحاضرة فمن البديهى أن هذا الباب ليس الا في ناموس الحياة القاضى بأن تحقيق الهناء الذى يلتمسه الانسان فى هذه الارض لقم بدعيه شخصياً لا كما نسعى الآن بل بتأدية مانعتبره واجبا أمام الله أى أمام المبادىء والنواميس الحيوية

فأنت ترى من ذلك حقيقة ماقررناه مراراً من ان السلم لا يسود بين الناس الا ان خضعوا لارادة الله واتبعوا أوامره القاضية بأن لا حرب ولا عداء وذلك لا يكون الا بخضوع كل فرد من أفراد المجموع لهذه الارادة العالية التى بمراعاتها يرهن الانسان على ادراكه معنى الحياة التى يقضيها في هذا الكون

(١١)

صدق المقال — واقعة يالو — أقوال الجرائد الروسية — الحال بالروسيا واليابان — البوذية تحرم القتل — تعليل عالم بوذي يزكي الحرب — فظاعة التقاتل — اليوم يوم العصيان عن الذهاب الى الحرب — محادثة الحرب مع جندي — خاتمة الرسالة

أشرت في الفصل السابق عند كلامي عن فشلنا في البحر الى ماهو منتظر بعدئذ من انخذالنا في البر . وما هي الا بضع ساعات بعد كتابة الرسالة الماضية حتى جاءت الانباء مفيدة بما جناه اليابانيون على الامة الروسية عند نهر يالو اذ انقضوا على رجالها بقلوب كالصخور شدة وعقول كالفراش خفة وفي نفس بعضهم أمل الظهور بالحصول على شارة فخر . وعلامة نصر . وفي نفس الآخرين غرور مستحكم . وضلال متمكن كأن ليس في غير قتل الانسان والتمثيل به مجال للظهور . وميدان للضلالة والغرور . حتى رأينا استمرار التقاتل لا يزيد المتحاربين الا حماسا في ارتكاب الرذائل . والمحرضين المحافظين على قوام الحرب الا حثا على تجديد المذابح والمسالب والفضائح والصحافيين الروسيين الا قوة للنفخ في بوقهم المعلوم على نغمة الدعوة الى النزال وتشديد القتال اذ تسمعهم يقولون : « ليكن لبحريتنا من قتل ألفي جندي روسي على نهر يالو واتلاف سفننا البحرية وفقد ما فقدناه منها درس مفيد يدفعها بعد حلول القسوة ونزع الشفقة الى اصلاء شواطئ اليابان المنحطة ناراً حامية لان دولة الميكادو لم تبعث بجنودها الى البلاد المنشورية الا لاهراق الدماء الروسية بمثل ما

أهرقت فوجب علينا الاضرار بهم وحقت الاساءة اليهم وبطل التظاهر بالانعطاف نحوهم والاحسان اليهم . وقد حان الوقت الذى تتأهب فيه سفننا البحرية الى الخروج في عرض البحر لجعل المدن اليابانية أطلالا من الرماد وأثراً بعد عين »

هكذا قالت الجرائد وبمثل هذا يستمر العمل الفظيع في طريقة المشؤوم . طريق النهب وضروب العنف وصنوف القتل ويستمر بعض الناس في تحريف الكلم عن مواضعة . وقلب المبادئ الدينية مسيحية كانت أو بوذية على ما يشاؤن .

وما زال القيصر الذى ترجع اليه أغلب المسؤلية عن هذه الفظائع يجمع الجنود ويودعهم ويشجعهم ويعدهم بالجزاء الحسن ان هم عادوا فائزين وما زال رجال رعيته المخلصون فى نظره يقدسونه تفانيا ويقدمون له أرواحهم وأموالهم قولا وما هم فى الواقع ليفعلوا غير اغواء البسطاء وجمع الرجال البؤساء قهراً من بين أولادهم وأعمالهم لتوريد من جمعوا الى حيث يهلكون فترمل النساء من بعدهم وتيتم الاطفال .

انه كلما ازدادت الدولة الروسية فى موقفها شدة وضيقا ووجد الصحافيون الروسيون مجال الكذب أمامهم فسيحا فقابوا الحقائق ولونوا أخبار الخذلان بما يفهم منه ان النصر حليف الروسيا حيث لا خوف من مراقبة تردهم الى الصواب لان الدوائر الوسمية راضية بما يلفقون ويلونون ـ كلما ازدادت مطالب الحرب من الرجال والمال ومطامع بعض الناس

من وراء القتال مثل الحربيين الذين قضوا جزأمن حياتهم بمدرسة البطالة والوحشية فانهم يمولون أنفسهم في مثل هذه الظروف بما ينالونه من الرواتب الباهظة جزاء براعتهم فى فنون قتل الانسان.

كذلك لم يزل القس المسيحى يدعو الناس الى ارتكاب أم البلايا ورأس الرزايا كما يتطلب من الرب عونا على هذه الحرب مقدساً عمل اخوانه السابقين الذين سافوا — والصليب بين أيديهم — اخوانهم في البشرية الى مواطن الفظائع والشرور بما لقنوه فى نفوسهم من فاسد الاعتقادات وباطل التصورات.

ثم ليست الحال على خلاف ذلك بالبلاد اليابانية فان الميكادو يجمع الجنود ويشجعهم على القتال، ونشوة الفوز في صدور اليابانيين لاتزيدهم الاحماسا في هلاك العدو بمثل ماتعلموه عن أوربا من طرق الفتك والهلاك

أما القواد الحربيون اليابانيون فيتفننون في اتيان العجائب والغرائب توهما منهم في انهم كلما نبغوا في فنون القتل كلما لمسوا لباب المدنية فكانوا من المتمدنين.

أجل. اذا كانت الحرب في نظر قوم آية من آيات المجد والفخار فلا عجب ان أزهرت النقائص والرذائل من وراء هذا النظر. بل ولا عجب اذا قام رجال الدين اليابانيون فشوهوا الحكمة العالية والمبدأ السامى من المذهب البوذى وذلك بتساهلهم وتأييدهم لقتل الانسان الذى نهى عنه بوذا وحرمه تحريما. فانك ترى العالم البوذى «شوين شاكو»

الذى يدير حركة وشؤون ثمانمائة معبد يبرر الحرب معالا تزكيته لها بأن بوذا وان حظر قتل الانسان فقد قال انه لن يستريح أبدا الا ان ذابت قلوب الناس وتكون من مجموع عناصرها قلب واحد يثوى بين جنبى كل فرد من أفراد البشر لهذا وجب التحارب والتقاتل لترتيب جميع الشؤون المانعة لتآلف هذه العناصر واليك ماقال بوذا «ان الارض والسموات وما بينهما ملك لى . فكل ما فيها من الكائنات عيالى اذ ليست بأجمعها الا صورة منى وليس لها غير مصدر واحد استمدت منه الكونية هو أجزاء جسمى لهذا لا أستطيع أن أبقى في سلام اذا لم تسر أقل ذرة من الكون طبق ما رسم لها » الى أن قال العالم البوذى « فنحن اذا حاربنا وقاتلنا فما ذلك الا لان الكون ليس كما يجب أن يكون عليه حيث توجد ا به طباع فاسدة وآراء باطلة وقلوب طمستها الاوهام واستولى على زمامه الجهل وللبوذيين أن يشهروا السلاح في وجوه الجهلاء حتى يستأصلوا من الجذور شأفة مصائب الحياة الانسانية . فهم في قتالهم لهذه الغاية عاملون وهم في سبيلها سائرون » الى غير ذلك من الاقوال والمباحث التى يقصد بها العالم البوذى ارخاء الستار على امر بوذا الظاهر البسيط القاضى بتحريم قتل الانسان

وكأنى بالواقف على ما يذيعه الآن رجال الدين مسيحيين كانوا أو بوذيين الناظر الى ما يقوم به الروسيون واليابانيون في تقاتلهم وتهالكهم لا يعتقد بالاخاء والحب والشفقة وحرمة الوجود الانسانى أصولا من

المسيحية والبوذية حيث يرى الموتى فى دمائهم يتضرجون والجرحى بين آلامهم يتوجعون وهم يتساءلون عما قدمت أيديهم حتى يجازون بما به يجازون. ويشاهد الالوف من ضحايا الحرب وقد مثل بهم أبشع تمثيل : جثث غطتها الاوحال وقطعت كالرمم فوق الهضاب والجبال . وأجسام التقطتها الموجة بعد الموجة وقذفت بها الرياح من بحر الى بحر بينما آباؤهم وأمهاتهم وأولادهم ونساؤهم يبكون من كانوا لهم نعم العون المعين

وليت المتحاربين أو المحرضين على الحرب وقفوا عند هذا الحد وكانوا عن هذا العمل البشع معرضين . لكن المحارب في حماس . وصدر المحرض في وسواس . فبعض يحرض الرجال الى القتال . وبعض يسوق بثلاثة آلاف يوميا الى ميدان النزال . اذ أصبح هم أولى الامر الاكبر أن لا يهملوا أمر تقديم الارواح لقذائف المدافع وسنان السيوف سيان ذلك من جانب الروسيين أو اليابانيين

فيالسوء المآل اذا لم تنته هذه الحال ولكن متى تنتهى هذه الفظائع والشرور ؟ أنى لنا ذلك اليوم الذى يفكر فيه الرجال فلا يساقون الى حيث يهلكون ؟ بل أنى ذلك اليوم الذى يقولون فيه لمغريهم وخادعيهم مثل هذا القول : « هلموا أنتم أيها القياصرة والملوك والوزراء ورجال الدين والصحافة والمصالح الشخصية وكل محرض على حرب عامل لها . هلموا جميعا الى ساحة التقاتل . تحت مطر القنابل . أما نحن فلن نذهب أبداً : دعونا نفلح الارض ونصنع الحوائج ونشيد الاعمال في

سلام . دعونا ولتغدوا أنفسكم بأنفسكم خير من أن تطفلوا علينا ونكون نحن للجميع عاملين ! »

نعم أنى هذا اليوم الذى نسمعهم يقولون فيه هذا القول المبين ؟ ألم يكن يومنا هـذا أولى الايام بذلك فى الوقت الذى تحس قلوبنا بزفرات آلاف البؤساء الذين يساقون الى الحرب وهم اسناد أسرات

الا أن الذين يعرفون منهم القراءة وأغلبهم يقرؤن لايجهلون ماهو الشرق الاقصى كما انهم يعرفون ان الروسيا لجأت الى الحرب ودخلت في معامعها لالحصول على مصلحة ضرورية للأمة الروسية انما للاستيلاء على أراض أجنبية بغير طريق شرعي فضلا عن انه كان من صالح الروسيا تسيير خطها الحديدى فيها بعد تدبير الشؤن الخصيصة بذلك مع أرباب المصالح .

كذلك يعلمون انهم يذهبون الى ميدان الحرب ليذبحوا كما يجزر البهيم لان عدد اليابانيين أتقن صنعا وأعظم اتلافا واهلاكا بيدنا نحن لانملكها وذلك لان الحكومة الروسية لم تفكر في تسليح الرجال التى تبعث بهم آلافا آلافا بمثل معدات اليابانيين

اذا تقرر هذا سهل قول كل روسي مسوق الى القتال بأن « هلموا أنتم أيها الذين بدأتم الحرب ورأيتموها ضرورية لكم عادلة في نظركم . هلموا امام رصاص اليابانيين ومحاصدهم . أما نحن فلن نذهب أبداً لانه فضلا عن عدم حاجتنا الى الدخول في الحرب فاننا لانستطيع أن نفهم لها نتيجة حسنة نافعة »

لكنهم مانطقوا ببنت شفة أو عارضوا أقل معارضة . بل هم يذهبون الى القتال ولا يستطيعون الامتناع عن الذهاب مادام وا يهابون مايهزل أجسادهم ولا يخافون مايفقدون بسببه أرواحهم وأجسامهم . ولو انك أصغيت الى ماينا جون به نفوسهم لسمعتهم يقولون (من المؤكدان الاعداء لايقتلوننا أو يجرحوننا في ميدان القتال الذي سنحارب فيه بل ربما نجونا بأنفسنا وعدنا فائزين وعلى انتصارنا مكافئين . بخلاف ماذا رفضنا الذهاب الى الشرق الاقصى فنحن لانجازى الا بجزاء نصير منه في ألم عظيم)

ثم ينزعون من حياتهم الشريفة واليأس متسلط على قلوبهم تاركين أولادهم ونساءهم وبالقلوب حسرات وفي الصدور لوعات وبالعيون عبرات

...

الشيء بالشيء يذكر. قابلت منذ بضعة أيام أحد الجنود الاحتياطيين وقد دعى الى الخدمة العسكرية فلبى الدعوة . وكانت تصحبه اذ ذاك أم عجوز وامرأة تعلو وجهها علامات اليأس والحزن وقد اغرورقت عيناه بأثر من الدموع التى ذرفها من قبل كما كانت المرأتان تنوحان وتبكيان. فبينا أتأمل في حالهم اذ بالجندى قرب منى فقال « هاأنا ذاهب ياسيدى الى الشرق الاقصى

قلت — اذاً أنت ذاهب لتحارب ؟

قال — نعم فانه يجب على الرجال القتال

قلت — ليس القتال واجبا

قال — نعم ولكن ما العمل ؟ وفي أى طريق نحن مسوقون ؟ »

فعلمت انه أدرك مقصدى أدرك ان العمل الذى دعى الى تأديته هو بئس العمل الفظيع وعلى قوله « في أى طريق نحن مسوقون ؟ » تجيب الصحافة والدوائر الرسمية « الى الله والقيصر والوطن » تعزيزاً به وتضليلا وما هو ليسأل هذا السؤال الا لاضطراب نفسه

فالذين يذهبون الى حيث يذوقون الآلام ويتلقون الموت الزؤام تاركين أسراتهم بلا كسرة خبز تتبلغ بها تسمعهم يقولون « في أى طريق نحن مسوقون ؟ » أما الذين يعيشون تحت ظلال سراياهم المزركشة فيقولون ان كل الروسيين في استعداد لتضحية أرواحهم لمليكهم ولمجد الروسيا العظيمة

(١٢)

وصلنى منذ يومين خطابان متواليان من مزارع روسي أعرفه من قبل وهذه صورتهما .

عزيزى الكونت ليون تلستوى

جاءتنى أوامر قاضية علىّ بالذهاب الى مصلحة جمع الجنود للانتظام بعدئذ فى سلك الجندية والتأهب للسفر الى الشرق الاقصى فجئتك اليوم بهذه العجالة لا لاقول لك شيأ عن آلامى ومصائب أسرتى لان مثلك أعرف الناس بهول موقفى وفظاعة الحرب بل لابدى لك عظيم أسفى واستيائى من عدم استطاعتى مشاهدتك ومحادثتك مليا عما تحمله نفسى من ثقيل الاعباء . نعم سأذهب ولا شك الى الشرق البعيد لاقف أمام رصاص اليابانيين . على انى اذا عرفت مآلى فماذا عساها تكون حالة امرأتى وأولادى من بعد ؟

انك يا سيدى قد بلغت من العمر مبلغا لا يسمح لك بالاهتمام في أمرهم لكنك تستطيع أن ترجو أحد أصدقائك بزيارة هذه الاسرة اليتيمة كلما مر على دارها ان كان لها وجود ثم اذا جاءتك امرأتى مستغيثة بك ملتجأة الى عضدك وقد وقفت مذعورة أمام رزايا ترملها وشدائد تيتم أطفالها فجل ما أرجوه منك أن تعزيها على حالها وتعوذها من الشيطان بنصائحك التى تهدأ بها النفوس . لان امرأتى وان لم تعرفك شخصيا فهى تثق بك وبأقوالك كثيراً وحسبك بثقتها مساعدا على ما أرجوك به .

ثم أعرفك في الختام انني لن اكون السبب في شقاء أى أسرة يابانية ؟ »

« عزيزى الكونت تلستوى »

قضينا هذا النهار من الساعة الثامنة صباحا الى التاسعة مساء في صحن القشلاق حيث عوملنا كما يعامل القطيع واجريت رواية الكشف الطبى ثلاث مرات حتى ان الذين أعلنوا بأمراضهم وعدم صلاحيتهم للخدمة العسكرية فى أول مرة قبلوا في الثانية أو الثالثة وكان الجميع وعددهم ألف من الرجال أصحاء أقوياء

ولو انك رأيتهم عند انتقالهم من مكان الكشف الى القشلاق نفسه وقد أحاطت بهم النساء يندبن سوء حظوظهن ويبكين مصير أزواجهن. وعلقت أيدى الاطفال برقاب الآباء وهم يصرخون بشدة مع ضعف أصواتهم ورقتها كانهم بهول الموقف شاعرون والرجال يقبلون وجوه الابناء قبلات الوداع ويغسلون بدموعهم تلك الوجوه النضرة ، نقول لو انك رأيتهم على هذه الحال بين انفعال وأشجان لهالك الامر واستهوتك الاحزان

انى لاحاول أن أمسك بنفسى أو اقاوم اضطرابها ولكن هيهات أن تهدأ النفس وتجف المدامع حيث قد حلت الآلام ومضت الآمال وأنا لاأدرى أين المفر . من هذا الشر وان كان ربك غير غافل عما يعمل الظالمون » اهـ

.·.

لا يعتقد هذا الرجل تماما بوجوب الخوف من فقد جسمه وروحه لهذا لم يجرأ على رفض الخدمة العسكرية بل انتظم في سلكها وحمل سلاحها تاركا أسرته وهو مع ذلك يعد بأن لا يتم أى أسرة يابانية عملا بالقانون الاساسى لجميع الاديان . القانوني الالهى القائل « اصنع لغيرك ما تريد أن تصنعه لنفسك » وفي هذا برهان كاف على صدق ايمان هذا المزارع فلا ترمينه اذاً وأمثاله العديدين الذين صدقوا ايمانا وثبتوا يقينا سواء ذلك بين البراهمة والمسلمين والمسيحيين والبوذيين بالجبن الذميم . فوحقك ما الشجعان الحقيقيون من تقام لهم الاعياد فى هذه الايام تمجيداً لهم على خروجهم من معامع الحرب سالمين عند ارادتهم قتل الآدميين انما الابطال الشجعان من ضمتهم السجون بسبب رفضهم الانتظام فى صفوف قتلة بنى الانسان ففضلوا التعذيب والشقاء عن معصية أمر الله وهل يأمرك ربك بالباطل وينهاك عن الحق

ثم اعلم ان الذاهبين الى ساحة الحرب ممن شاكل هذا المزارع عديدون وهم لا يأتون هناك أمراً نكرا . أما الذين يأتونه طوع أمر من نزعوهم من بين أشغالهم وأسراتهم لقتل الناس وارتكاب الجرائم والشرور التى تنكرها احساساتهم ولا يرضى بها وجدانهم فانهم كلما سمعوا دوى المدافع وفرقعة القنابل وشهقات الحناجر عند رفرفة الارواح . وشاهدوا لمعان المرهفات ومثار الميدان ومجارى الدماء تساءلوا قائلين من حيث لا يشعرون أو يشعرون « فى أى طريق نحن مسوقون ؟ » وليسوا هم فقط

الذين يحسون بذلك فان الذين يبقون ببلادهم يشعرون به ويعرفونه ويتحدثون به

قابلت بالامس عند الطريق الموصل الى « تولا » مزارعين كثيرين عائدين منها وبصحبتهم عرباتهم التى يحملون عليها أثقالهم الريفية . وكان أحدهم سائرا بجوار جواده وبيده صحيفة يقرأ فيها فقلت له « ما هذا الذى بيدك ؟ أفيها شئ من الاخبار البرقية ؟

فوقف عن سيره ثم قال ـ نعم . لكنها أخبار الامس ومع ذلك فان معى أنباء اليوم »

ثم استخرج من جيبه صحيفة أخرى فناولنيها فأخذت أطالعها وأخذ هو يحدثنى فقال :

كان الامس يا سيدى يوما مشهودا على محطة هذه البلدة حيث اجتمع نحو الالفين نساء وأطفالا فاحاطوا القطار ولم يريدوا له سيرا . وكانت الدموع تذوب القلوب حتى أن الاجانب الحاضرين كانوا يبكون مع الباكين وقد شهقت امرأة من « تولا » شهقة سقطت معها على الافريز لا حراك بها وخلفت وراءها خمسة أطفال اودعوا فى « ملاجئ النجدة » وسيق مع هذا الاب وهو ناظر لامرأته ميتة وأولاده من غير كفيل . . . . فيا لها من قسوة نحن في غنى عنها اذما حاجتنا الى هذا الشرق الاقصى ؟ . . . . ألم يكن لدينا من الاراضى ما يكفى لمعاشنا ؟ . . . . واحسرتاه على ما تفقده من المال والرجال .

ولقد أصبح من الواضح ان دولتنا دخلت فى هذه الحرب على غير ما دخلت به في حروب الازمان السابقة ولا أذهب في ذلك بعيدا فشتان بين اليوم وبين أيام عام ١٨٢٧ لانه لم يكن لحوادث هـذه الحرب من مثيل في سابق الحروب الروسية .

أضف على ذلك ان الجرائد تؤكد ان القيصر الذى يخترق الروسيا من شمالها الى جنوبها ليودع الرجال المبعوثين الى مذابح الشرق البعيد ـ يقابل بالحماس والتهليل والدعاء من جميع أفراد الامة مع ان الحقيقة على خلاف ذلك حيث لا نسمع منهم الا صراخ الاستياء وقد ذهبت اليوم امرأة بأولادها الاربعة الى مصلحة جمع الجنود وألقت هناك حيث أخذ أبوهم وسافر الى ساحة القتال . وانتحرت امرأة أخرى في غرفة الرئيس بطريق الاختناق .

فحيثما سرت لا ترى الا الاستياء والحزن والذهول . وليس لقول الصحافة واولى الامر « الحرب في سبيل الله والدين والقيصر » ولالاغانى الكنيسة وأناشيد المأجورين من السوقة وغوغائهم أقل تأثير في الواقع حتى ان عدد المستائين من هذه الفظائع وذاك الكذب والعنف ـ يزداد كل يوم ما دامت الحرب في استمرار . كذلك ليس التنازع فى عصرنا هذا هو ما دفع اليابانيين والروسيين الى التهاجم والتقاتل وجها لوجه أو رميا بالقذائف وما شاكلها . ولا التنازع ما هو واقع الآن بين العنصر الابيض والعنصر الاصفر . انما التنازع الحقيقى الذى كان وسيكون هو

ما قام بين وجدان الانسانية ومظالم الوحشية

ولقد كان المسيح يتألم كثيرا ويقول « انى جئت لالقى ناراً على الارض وما أريد الا اضطرامها » (١) فحق علينا أن لا نضع العراقيل في سبيل ما أراد وتمنى المسيح ابن مريم

(١) انجيل لوقا ١١ . ٤٩

obeikandl.com

(١٣)

انني اذا أردت اثبات كل مايؤيد الفكرة الاساسية من الموضوع الذى كتبت عنه ما كتبت فالظاهر انى لن أنتهى أبداً منه اذ كلما خرجت من باب انفتح باب آخر وكلما تجددت الحوادث انجلى من وراء تجددها دليل يؤيد شيأ من الافكار الاساسية فى الموضوع . فقد أفادتنا أنباء الامس يغرق بعض المدرعات اليابانية فرقصت قلوب الطبقة العالية من الامة الروسية فرحا وطربا واهتزت رؤسها زهواً وعجبا . وكأنى بجمود تحكم على أعنة هذه القلوب حتى رأينا منها سروراً لم يخالطه أقل سخط أو تأنيب على بشاعة ماجنى الروسيون .

ثم جاءنى اليوم خطاب من نوتى بسيط ليس من الطبقة العالية طبعا. تلك الطبقة التى بشت وجوهها وهشت . وانتعشت قلوبها وفرحت . بل من أصغر الطبقات الروسية التى تتحمل مصائب أهواء الطبقة العالية . جاء في خطابه مايأتى :

سيدى العزيز

سلام واحترام . ثم أبدى انى أطالع رسائلك عن الحرب بامعان وسرور لانى شغف بمطالعة مؤلفاتك معجب بارائك .

أما والحرب قائمة فانى أرجو من سيدى أن يجيبنى عما اذا كان الله راضيا عن اكراه رؤسائنا لنا على القتل أو ساخطا على ذلك ؟ وهل للحقيقة وجود في هذا الكون أم هى اسم لامسمى له ؟ وهل كان مايقوله

القس المسيحى من ان الله يقدس الحرب ويحبها أمراً حقيقيا ؟ . اذا كان لديك ياسيدى هذا الكتاب الذى أعرف به وجود الحقيقة أو عدمها فأرجو ان تبعث به الىّ مهما غلا قيمة وقل وجودا . واذا لم يكن لديك هذا الكتاب فأنا منتظر منك جوابا على خطابى أكون سعيدا به . وفي الختام أستودعك الله وأعرفك بأننى لم أزل على قيد الحياة متمتعا بصحة جيدة وأرجو الله ان يهبك من لدنه قوة تستعين بها على القيام بأعمالك الحسنة النافعة »

تحريراً في بور آرثر . ثم الاسم واللقب والوظيفة واسم السفينة التى يخدم بها

واننى لاأستطيع الاجابة مباشرة على ماسأله منى هذا الرجل العزيز المتنور حقيقة الا أنه وان كان في بور آرثر ومعنى ذلك في بلدة قطع عنا التراسل مع من فيها فان لدينا واسطة أخرى هى الله الذى يعتقد فيه كلانا ويعرف أنه عز وجل « ساخط » على الحرب وان الشك الذى يخالج صدر هذا النوتى هو جواب ماشغل باله فسألنى عنه

ولقد نشأ هذا الشك وتبوأ مكانا من صدور ألوف من الرجال روسيين كانوا أو يابانيين أو سواهم من البؤساء المكرهين على ارتكاب هذا الجرم الفظيع الذى تنكره الطبيعة البشرية والذى يضعفه الشك المتضمن تحت هذا السؤال « هل كان الله ساخطا أو راضيا باكراه أولى الامر لنا على القتل ؟ » ولا يزال هذا الارتياب يزداد كل يوم عن يوم

وما هو الا شرارة من نار المسيح المقصودة من قوله « انى جئت لألقى ناراً على الارض وما أريد الا اضطرامها » (انجيل لوقا ١٢، ٤٩) . شرارة يتزايد تأثيرها في النفوس كل يوم حتى ينجلى الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

تحريراً فى ٣١ مايو سنة ١٩٠٤ اه

obeikandl.com

﴿ مشكلة الحروب ﴾

خاتمة المقال

تتميما للفائدة التى حوتها رسائل الفيلسوف الروسى الكونت ليون تلستوى عن « الحرب الروسية اليابانية » وتلخيصا لما جاء فيها من الافكار رأى معرب هذه الرسائل التى نشرت تباعا بالمؤيد أن يضيف اليها موضوعا آخر عن مشكلة الحروب لاهميتها من جميع الوجوه . وقد حاك المؤلف برد هذا الموضوع من بضع سنوات مضت على مثل ماأبدع فى رسائله المذكورة التى اتفقت مع الموضوع روحا وان اختلفت عنه شكلا ووضعا . قال تلستوى

أرسلت الىّ صحيفتا الحياة الدولية (لافيتا انترنازيونال ـ تطبع بميلان والانسانية الحديثة (لومانيتيه نوفيل بباريس وبروكسيل) هذا الخطاب الآتى:

« سيدى .

رغبة في تقدم الافكار الانسانية رأينا وجوب الاهتمام بمسئلة الحروب التى تجلت فى ثوب الالباس فوق كل واجب فبعثنا اليكم هذه الاسئلة مصحوباً برجاء الاجابة عنها وهى :

أولا — هل كانت الحرب بين الامم المتمدنة من مقتضيات ورغائب التاريخ والحق والتقدم ؟

ثانياً — ماهى نتائج التجنيد العلمية والادبية والطبيعية والاقتصادية والسياسية ؟

ثالثاً — ما هو أصلح حل لمسئلتى الحرب والتجنيد الهامتين يكون من ورائه النفع لمستقبل المدنية ؟

رابعاً — ما هو أقرب الوسائل للوصول الى هذا الحل ؟

(١)

اني لا أستطيع اخفاء ما هاجه في نفسي هذا الخطاب من انفعالات النفور والسخط بل واليأس . اذ انني لا أفهم كيف لرجال من عصرنا هذا قد أنار العلم بصائرهم فضلا عما هم عليه من حسن التصور وسلامة التعقل ـ ينادون العالمين بأن اعتصموا بحبل الاخاء وليأخذ بعضكم بيد البعض الآخر . ويصفون الحروب بأنها أعظم الجرائم فظاعة وأكبرها بشاعة وأشدها بلية وأقواها رزية حتى اذا وقعت الحرب واشتعلت نارها عملوا لها أو ألقوا دلوهم في دلائها ! !

على انه ليس العملة المكونة منهم الاغلبية الاهلية هم الذين يرغبون في قتل الانسان ويرسمون خطط الحروب ويجهزون معداتها لانهم يدخلون في معامع القتال رغم أنوفهم لاطوع ارادتهم بسبب اكراه الغير لهم على ذلك وظن كل فرد منهم بمصيره الى أسوأ الحالين واكبر الضررين ان هو رفض النزوع الى المغالاة في ارتكاب الشدائد واتيان الفظائع — بل الاقلية الصغرى من الناس التي يعيش أفرادها في زخارف الحياة ومراتع البطالة هي التي تحضر الحروب بما يشتغل به العمال وتفسح السبل لفظائع التخريب والقتال وتكره هذه الاغلبية على اتيان اكبر الآثام

وما هذه الحال بالشئ الحديث في عهد الانسان انما الجديد فيها بلوغ جرأة الاقلية المذكورة حداً لم يعهده ابن آدم حتى أصبح أغلب العمل الاهلي محوّلا في عصرنا هذا لنفقات الحروب واستعداداتها . وصار

كل فرد تابع لاى مملكة من الممالك التى تسير على مقتضى نظام دستورى مدعوا بلا استثناء الى قتل أخيه في الانسانية . وجاء سوء التفاهم الواقع بين هذه الممالك دافعاً بها الى التقاتل والتهالك محرضاً مع غيره من المحرضات على اغتيال الامم الهادئة بما جعل الحرب في كل حول واقعة لا محالة في أى قارة من القارات وأمسي الناس في خوف من الوقوع في نزاع عام يكون من ورائه خراب عام

فمن الواضح اذاً ان هذه الحال هى نتيجة انخداع الاغلبية بالاقلية من الناس تلك الاقلية التى رأت الكذب من منفعتها فكذبت . والتغرير لصالحها فغررت . . . ومن البديهى أيضا ان الذى يمسك بزمام الاغلبية عن اندفاعها في طريق الهلاك يكون بتفهيم افرادها انهم مخدوعون مع تبيين مواضع التغرير من أقاويل وأفعال الاقلية ورفع الستار عن حقائق اكاذيبها وضروب مغالطاتها والاعيبها

الا انه عوضا عن التجاء الرجال المتنورين الى هذه الوسيلة تراهم يسعون في تشييد دعائم السلم وتأييده بالاجتماع في مدينة من مدن أوروبا فيجلسون جلسات العلماء على مناضد مكسوة ببسط زرقاء ثم يتفننون ما يشاؤن في أساليب البيان لاقناع الناس بأن خيرهم في معيشة شعارها السلم ورمزها الاخوة وبعد ذلك يسألون أمثال هذه الاسئلة السامية

(١) ـ هل كانت الحرب بين الامم المتمدنة من مقتضيات ورغائب التاريخ والحق والتقدم ؟

كأن المفتريات التى تخيلناها في هذه المجتمعات داعية منا لانكار المبادئ الادبية والبعد عن النواميس الحيوية

(٢) — ما هى نتائج الحرب ؟

كأن الشك فى نحوسة وشؤم هذه النتائج قادر أن يخالج صدورنا ولو لحيظة واحدة من حياتنا

(٣) — كيف تحل مشكلة الحروب ؟

كأن قد ضلت أبصارنا الى ما هو واضح جلى من أن في زوال الكذب والتغرير من نفوس بعض الرجال زوالا للحروب

ان هذا الاعجب عجاب !

يقصد « مونت كارلو » في كل عام رجال أصحاء هم فى الغالب سعداء فيلعبون الميسر ويفقدون صحتهم وهدوهم وشرفهم وقد يخسرون حياتهم بالذات ثم تأخذ الشفقة بمجامع قلوبنا على هؤلاء الناس الذين يحتمل فوزهم ويغلب فشلهم . فبدلا من ارشادهم الى سوء نتائج القمار حتى يجتنبوا هذا الخلق الذميم المبنى على الرغبة فى شقاء الآخرين حباً في الذات فضلا عن مناقضته للمصلحة الشخصية . ترانا نجتمع ونتناقش فيما اذا كان من الممكن الضرب على أيدى أصحاب البيوت القمارية للحصول منهم على ما يخول لنا اقفالها في وجوه اللاعبين . ويكتب منا الكتاب في ذلك المؤلفات وينشرون النشرات والمذكرات ويتساءلون فيها أيضا : هل كان وجود هذه البيوت من رغائب التاريخ والحق

والتقدم ؟ وما هى نتائج القمار العلمية والاقتصادية ؟ »

اذا قلت لمدمن في شرب الخمور ان في استطاعتك ياهذا الاقلاع عن الادمان وواجب عليك الابتعاد عن شرب هذه السموم فأنا أؤمل منه اتباعا لارشادى واصلاحا لنفسه وحاله . لكننى لوقلت له ان الادمان في شرب الخمور مسئلة أعقد من ذنب الضب ومشكلة من أمهات المشاكل التى يسعى العلماء في حلها باجتماعاتهم من حين الى حين لحملهذا القول على الاستمرار في الشرب حتى يحل الاشكال فيداوى نفسه من الادمان .

هذه أمثلة نضربها للقياس عليها فيما يختص بالحروب . فقد استعمل الساعون فى زوالها وسائل علمية ووسائط مركبة في ذاتها مثل المحاكم التحكيمية والمجتمعات الدولية وما شاكل ذلك وسكتوا عن الواسطة الحقيقية البسيطة البديهية . فما القوانين الدولية والمحاكم التحكيمية والمؤتمرات لتؤدى الفائدة المنشودة بل الواسطة الحقيقية لزوال الحروب هى ترك الاقلية الكذب والخداع والتغرير بعقول الاغلبية التى يحق لها الامتناع عن الحروب حيث لاصالح لافرادها من وراء فظائع القتال بغير فقد النفوس وتيتيم الاسر وضياع الاموال .

وقد أثبت الكتاب من قديم الزمان صدق هذه الواسطة وبرهنوا على صحتها مثل ترتوليان وأوريجين وبولوزيان مع أنصاره ثم التابعون لهم من المنونيت والكاكر والهرنجونر نم الكتاب العصريون مثل ديمون

وهاريزون ويالو . ولقد جاء دورى فلبثت عشرين عاما وأنا لا آلو جهدا في البرهنة على خطيئة الحرب وضرر وجنون الخدمة العسكرية .

ثم اننا نعرف أنه قد عمل بهذه الوسيلة أشخاص منفردون من قديم الزمان الى هذا العصر ولا يزال العمل بها سائراً في طريق التقدم والنجاح . عمل بها في النمسا وبروسيا وهولاندا وسويسرا وبعض مقاطعات من المملكة الروسية مثل ألد وخوبر فان أهلها البالغ عددهم خمسة عشر ألفا من النفوس قد قاوموا الحكومة الروسية في الثلاث السنين الاخيرة ولم ينتظم منهم رجل واحد في سلك الخدمة العسكرية التي يرفضونها رفضا كليا

الا أن المحبين للسلام يصمون آذانهم عن هذه الوسيلة ويتجاهلونها وماهم بجاهلين ويرمونها بالعجز عن التأثير وماهم بصادقين . ألم يكن الاولى بهؤلاء البسطاء أن يقنعوا الحكومات بفساد ماتصنع ويدعوها الى ترك الفظاعة والعنف والكذب والتضليل ؟

(٢)

يعلل أولوا الامر نفوس الناس بالخير العميم من وراء المحاكم التحكيمية التى يرونها قادرة لحسم المنازعات بين الحكومات وتسوية الشؤن بالطرق السلمية . لكننى أعتقد خلاف ذلك وأظن المحاكم التحكيمية بابا تنتحل منه الحكومات أسباب بقاء الجيوش والنظامات الجندية تأكيداً وتأييدا لسلطتها . وهم فيما يعللون به نفوس الناس يحولون الانظار عن الواسطة الوحيدة التى تنقذ الناس من رق هذه الحال ويبثون في نفوس الاهالى من نعومة الاظفار مايسمونه باحساس الوطنية الشريف وما هى الا وطنية أساسها الكذب والتغرير والتهديد .

أما وقد ظهرت اليوم حقيقة الكذب « الوطنى » الذى يقصد به تفهيمنا مثلا بأننا أمة الأمم ودولة الدول وان بلادنا أعظم البلاد اعتبارا وأعلاها مناراً فقد أصبح التواد بين الأمم سهل المنال دانى القطوف . كما قد بانت حقيقة التغرير الذى يقوم به رجال الدين من تحليل الحروب وتحريم القعود عنها ودعوة الناس الى القتال باسم المسيح وابن مريم برىء مما يفترون والعقلاء عن تغريرهم معرضون

على هذا لم يبق اذاً غير خوف الناس من صارم العقابات التى يهددون بها مانعا لهم عن رفض الخدمة العسكرية وحمل الاسلحة العدوانية وما هذا الخوف فى الواقع الا نتيجة من نتائج كذب وتغرير الهيئات الحاكمة وصنائعها من أمثال رجال الدين

تعاقب الحكومات كل رافض الخدمة العسكرية بالسجن مع التشغيل خشية من خطر الرفض الذى يناقض نفوذها على الناس عند تضليل عقولهم والكذب عليهم . الا أنه مهما بلغت هذه العقوبات من القساوة والشدة فليس للناس أن يهابوها أبداً لان في رفض الخدمة العسكرية اختيارا لاخف ضررين لابد من أحدهما للمدعو الى الجندية . فهو ان انتظم فى سلكها مات في أثناء الحرب شر ميتة . أما ان خرج من القتال سالما بحياته فهو لايخرج منه سالما بجسمه نظرا لظروف الحياة الحربية غير المنطبقة على الاصول الصحية . وقد يصاب الجندى بمرض خطر يفقد بسببه الحياة وهو فى نضارة العمر كما يحتمل أن يزل زلة صغيرة امام رئيسه فيناله عقاب أشد قساوة مما لو رفض الخدمة العسكرية من أول الامر . هذا فضلا عن ان ازدياد رفض الناس للخدمة العسكرية أعظم داع لاكراه الهيئات الحاكمة على دفع تضليلها وأكاذيبها عن الناس

وهناك أيضا سبب مهم يدعو الناس الى العصيان عن الخدمة لعسكرية. هو الخضوع لارادة الله العالية القاضية بأن لاحرب ولا قتال ولا اثم ولا عدوان والسعى لما فيه صالح الانسانية وخيرها . فكل رافض للجندية يبرهن برفضه على صدق ايمانه ورغبته في خدمة الناس وكل عاص عن تقديم مايحفظ به قوام الجيش باسم الضرائب فهو خادم أمين لارادة الله التى يجب أن تكون غايتنا التى ترمى اليها فى هذه الحياة . ميال الى تقدم الانسانية . طامح الى مساعدة حركتها نحو أبدع نظام اجتماعى

يجب أن تكون عليه الحياة البشرية .

وليس صالح الانسان وواجب الحياة هما القاضيين علينا فقط بالعصيان عن الخدمة العسكرية بل انه من الضعف أيضا أن يخضع الناس لفئة منهم ترتع في البطالة وتتمتع بزخرف المعيشة . فئة تنزع الناس من أشغالهم وتدفع بهم الى موارد شقائهم وهى تطل عليهم من بعيد وتنتظر تحقيق المطامع الذاتية من وراء هلاك هؤلاء البائسين .

قد يقول قائل « ولكن مالعمل اذا لم تكن لدينا جنديتنا وهجم علينا متوحشو العنصر الاصفر ؟ » فأقول انه في الوقت الذى نحب فيه لجيراننا ما نحب لانفسنا لا داعى مطلقا لمثل هذا الوهم . ولو فرضنا جدلا انه مع عملنا بهذا المبدأ هجم علينا المتوحشون أو رجال العنصر الاصفر بمثل ما تعلموه منا في سابق الازمان من فنون قتل الانسان فان جزأ من مائة من جميع جيوش أوروبا يكفى وحده لمنع ذلك على ان أمثال هذه الاعتبارات الفرضية لا يصح الاخذ بها عند وثوقنا من أحقية مانسير عليه في أعمالنا لان للانسان من وجدانه قائدا أمينا باتباعه يعرف ما يجب عمله وما يمتنع

يتبين اذاً مما فات أن ما يقال عن عقاب الرافض للخدمة العسكرية والاخطار التى تهدد الهيئة الاجتماعية من غياب قوة على الاقل دفاعية يدخل كله تحت أضاليل الحكومات وأكاذيبها التى أثقلت بها كاهل العالم الانسانى

ان العمل بما يقتضيه العقل واطاعة ما ينادى به الوجدان ويأمر به الله أساس لسعادة الافراد وهناء مجموعهم . وهل بعد تقرير ما قررته المسيحية من المبادئ السامية للسعادة البشرية من تحريم قتل الانسان والامر بالاخاء يصح بنا أن نضرب بهذه المبادئ عرض الحائط لنطيع أمر رئيس أو امبراطور أو ملك ونحمل السلاح ونصيح بملئ الافواه « هانحن في استعداد لقتل الاطفال وذبح الشيوخ والتمثل بالرجال وتخريب دور من نؤمر باهلاكهم وافنائهم ؟ »

أف حينئذ لجمعية بشرية هذه حالها ويا بئس ما تفعل ويا سوء ما اليه تؤول !

فتوبوا أيها الاخوان عن هذه الفظائع وعاهدوا أنفسكم وضمائركم على أن لا تعودوا اليها بأى حال من الاحوال ! وسدوا آذانكم عن الاباطيل التى يسعى المفسدون في تلقينها بنفوسكم باسم الوطنية والدين . وأعرضوا عن غوايات أهل السوء الذين يقدمون لكم الشر في ثوب الخير وما هم غير بغاة مضلين . ولا تصدقوا سوى ما يناديكم به الوجدان فانكم لستم بهائم صماء أو عبيداً أذلاء بل أنتم رجال أحرار مسؤلون عما تقدم أيديكم من الحسنات والسيئات مسؤولون عن قتلكم أخيكم فى الانسانية سيان فعلتم ذلك بارادتكم أو بتحريض آخرين .

نعم تكفى توبتكم لاصلاح الحال . ان الله بما تعزمون عليه وتعملون به بصير عليم اهـ

تحريراً في ٥ مايو سنة ١٨٩٨